ResearchGate

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: https://www.researchgate.net/publication/371987170

تمثلات الوجع الفلسطيني في رواية الجالية الجزائرية المهاجرة الصدمة لياسمينة خضرا أنموذجا

Conference Paper · December 2022

CITATIONS
0

READS
38

1 author:

كروش خديجة
University of Batna 1
5 PUBLICATIONS **0** CITATIONS

SEE PROFILE

All content following this page was uploaded by كروش خديجة on 02 July 2023.

The user has requested enhancement of the downloaded file.

الملتقى الوطني: رواية الجالية الجزائرية المهاجرة

الاسم: خديجة

اللقب: كروش

الجامعة: باتنة1

الرتبة: أستاذة محاضرة أ

عنوان المداخلة:

تمثلات الوجع الفلسطيني في رواية الجالية الجزائرية المهاجرة/ الصدمة لياسمينة خضرا أنموذجا

ملخص المداخلة:

تعد القضية الفلسطينية إحدى أهم القضايا في العالم العربي والإسلامي بشكل خاص لما تحيل إليه من صراع ضارب في القدم حول أحقية امتلاك أرض فلسطين ومعاناة الفلسطينيين الناجمة عن تسلط الصهاينة ومحاولاتهم المستمرة في طمس هوية الفلسطيني بالقتل، والتعذيب، والتهجير، وتضييق خناق المقاومة. ولأن الأديب إنسان يهتم بما حوله من مواقف وأحداث فإنه يتفاعل معها رفضا، وتحريضا، أو خضوعا واستسلاما. فنجد الأدباء الجزائريين يستحضرون القضية الفلسطينية بشكل مكثف في نصوصهم الشعرية والسردية . ولا تكاد تحيد روايات الجالية الجزائرية المهاجرة عن معالجة هذا الموضوع إثباتا منها للهوية العربية القومية، واهتماما بالقضايا الإنسانية والقومية وهذا ما نلفيه في رواية "الصدمة " لياسمينة خضرا.

إن هذه المداخلة تروم البحث عن تمثلات القضية الفلسطينية في رواية الصدمة من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية: كيف تناولت رواية الصدمة القضية الفلسطينية ؟هل تناولتها من الجانب التاريخي، أو من الجانب الإنساني، أو الاجتماعي أو السياسي؟ هل تنحاز الرواية إلى الفلسطيني وتكره الصهيوني أم تسعى للتعايش بينهما؟ هل ركزت الرواية على اغتراب الذات الفلسطينية داخل أرضها وخارجها؟

الكلمات المفتاحية: تمثلات، الوجع، الفلسطيني، الرواية، الجالية، الجزائرية

Summary :

The Palestinian issue is one of the most important issues in the Arab and Islamic world in particular, because it refers to an ancient conflict over the right to own the land of Palestine and the suffering of the Palestinians resulting from the

domination of the Zionists and their continuous attempts to obliterate the identity of the Palestinian through killing, torture, displacement, and stifling the resistance. And because the writer is a person who cares about the situations and events around him, he interacts with them in rejection, incitement, or submission and surrender. We find that Algerian writers evoke the Palestinian issue intensively in their poetic and narrative texts. The accounts of the Algerian immigrant community hardly deviate from addressing this issue as proof of the Arab national identity, and their interest in humanitarian and national issues, and this is what we find in the novel "The Shock" by Yasmina Khadra.

This intervention aims to search for the representations of the Palestinian cause in the shock novel by answering the following questions: How did the shock novel deal with the Palestinian cause? Did it deal with it from the historical side, or from the human, social or political side? Does the novel take sides with the Palestinians and hate the Zionists, or does it seek coexistence between them? Did the novel focus on the alienation of the Palestinian self inside and outside its land?

Key words : representations,The pain, Palestinian, the novel, The community,

The Algerian.

نص المداخلة:

مقدمة:

لقد شكلت القضية الفلسطينية في بداياتها قضية قومية مثلها مثل كثير من قضايا التحرر التي شهدها العالم العربي خلال القرن التاسع عشر بفعل الاستيطان، والاستعمار الأوروبي بالدرجة الأولى الذي استغلها لبناء الحداثة الغربية وقد تحولت إلى هاجس مركزي وكابوس دائم، يؤرق الشعوب العربية بل ويمزق أواصر وحدتها بتداعياته وتحولاته عبر الزمن الوحدة العربية خاصة بعد النكبة وصعوبة التحرر.

ولا يمكن إنكار دفاع الفلسطينيين عن أرضهم فعليا(الحجارة، الاستشهاد، ...) أو قولا) من خلال مختلف الخطابات الأدبية.

ولا يمكن إنكار دفاع الفلسطينيين واستماتتهم في سبيل تحرير أرض فلسطين عبر المقاومة الجسدية والكتابية، خاصة الشعرية منها وتفاعل الشعوب العربية كذلك مع قضيتها، ذلك أن فلسطين تشكل للعربي مهد الأديان وأحد المقدسات الإسلامية ومجمع الأصالة والتراث،

فضلا عن موقعها الاستراتيجي ومن ثمة فإن انتزاعها يعد بمثابة اغتصاب لفرد من العائلة العربية وإصابة لعضو من جسده، فلا غرو أن تتداعى له سائر الدول بالسهر والحمى.

ولعل أولى ردود الأفعال العربية التحاق الشعوب أفرادا وجماعات وسياسات بالعمل الثوري لتحريرها من براثن الصهيونية ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل على الرغم من الجهود المبذولة والتي كادت تصيب الهدف لولا بعض التداخلات العالمية المراوغة، التي رجحت كفة الصهيوني، والمستوطن والعنصري على كفة العربي صاحب الأرض. وقد وزاد الوضع سوءا بتشتت الوحدة العربية وانقسام السياسات العربية على نفسها بين مؤيد ومعارض للقضية يدعو إلى التطبيع والانسحاب بدعوى مصلحة بلده، واستحالة تحرير فلسطين.

إن هذا الوضع على المستوى الواقعي، والتاريخي لم يكن نفسه على مستوى الكتابة الأدبية إذ استمرت القضية الفلسطينية حاضرة في النصوص الأدبية بمختلف أجناسها ولكن بردود فعل متباينة ، ولدتها الهزائم أو الانتصارات المؤقتة خاصة بعد هزيمة حزيران مما"...دفع عددا من كتاب الرواية في أكثر من جزء من الجغرافية الإنسانية إلى التفاعل مع الموضوع الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وفي الأقطار العربية المجاورة لها، في أعمال روائية متفاوتة فيما بينها، على المستوى الفني، ترجم بعضها إلى اللغة العربية ولا يزال بعضها الآخر طي اللغة التي كتب بها."[1]

وقد اهتمت الكتابة الروائية بالقضية الفلسطينية على مدى أجيال روائية اتسمت باختلاف الرؤية والآليات الفنية ولا تكاد تبتعد رواية الجالية الجزائرية المهاجرة خاصة إلى دول أوروبية عن تناول القضية الفلسطينية، لينفتح المتن الروائي على الإنسانية والإحساس بالفلسطينيين ومعاناتهم في ظل تهميشهم من مختلف الجهات المحلية، والعالمية.

زيادة على التعاطف الذي يحسه الروائي الجزائري المهاجر اتجاه الوجع الفلسطيني الذي يذكرهم بمعاناة الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي داخل وطنه وخارجه وما يحياه من تشرد واغتراب. زيادة على الرغبة في نقل أطروحة شديدة الثراء للفلسطينيين "...تتجاوز حدود المحكي، إلى الهم الفلسطيني في أول تجليات انعكاساته على الذات الفلسطينية، أطروحة الانتماء إلى الوطن، وهي تعرف هذا الانتماء، بالالتصاق بالأرض، وتدعو الفلسطيني إلى أن يعي ذلك عندما يكون فوق أرضه، وليس بعد نزوحه عنها" [2]

وقد استغل روائيوا الجالية الجزائرية اللغة الأجنبية سلاحا مرة أخرى لتعرية واقع الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وإبداء جانب التعاطف مع الطرفين مرات، أو التزام الحياد والاكتفاء بالوصف من خلال البناء السردي للنص، ومقاربة موضوع الوجع ومعاناة الفلسطينيين جراء فقدانهم لأرضهم من خلال الشخصيات التي تبدي انفعالاتها ومواقفها على الصعيد اليومي في علاقتها بالأرض، وبالعدو الإسرائيلي وهذا ما عكسته رواية الصدمة لياسمينة خضرا.

أولا.صراع الأمكنة في رحم الأرض:

لقد كانت فلسطين موحدة بمحافظاتها، على الرغم من التعدد الديني والعرقي غير أنها بعد مشروع الصهاينة والذي ظهرت نواياه بدءا بتاريخ 1948م لم تعد كذلك، حيث استولى اليهود على مساحات واسعة منها، بل وعلى مناطق حساسة كتل أبيب، و القدس،وبيت لحم، بينما بقيت مناطق أخرى تحت حكم المقاومة أو السلطة الفلسطينية كغزة،وجنين...وغيرها.

وقد صورت هذه الرواية الصراع بين هذه الأمكنة على شتى الأصعدة، وعلى البنية الفوقية(كالمباني، ، والطبيعة، ومظاهر الحياة...)، والتحتية(كالقيم الاجتماعية، والسياسية، والدينية...)..فقد اتصفت تل أبيب بوجود الأبنية الشاهقة، والشقق الفاخرة، والمصاعد، وضجيج حركة المرور الذي تكرر كثيرا في الرواية. يقول في وصف شقة الطبيبة اليهودية كيم" ...يتناظر فيه مثل كلبين من الخزف الصيني كرسي من الخيزران وأريكة عتيقة من الجلد البالي، تحت لوحة سريالية كبيرة نصف الحائط،....[3].

كما يصف البحر والبواخر وهي تشقه، واستمتاع الناس بالحياة ومفاتنها فـــ" بعض السواح يلتقطون صورا تذكارية وهم يتبادلون التحية يتغازل الشبان والشابات أزواجا في ظلال الأشجار، أما البعض الآخر فيتنزه، معانق الأيدي، على طول الرصيف،..."[4].

كما تتصف الأحياء في تل أبيب بجمالها ورقيها، فالواحد منها " .... جميل وهادئ، غيور على دوره الفخمة، و أويقاته الساكتة التي تسترخي خلالها أعظم ثروات تل أبيب، إلى جانب مستعمرة من محدثي النعمة.."[5].

زيادة على المطاعم في مختلف الأمكنة الجميلة، والخلابة، كذلك الذي زاره مع أصدقائه يقول:" ...تناولنا الغداء ، نحن الثلاثة، في مطعم قرب الشاطئ، إنه نهار جميل، تستفرد الشمس بالسماء سحابة منقوشة تنسج أهدابها في الأجواء يسترخي بعض العائلات على الرمل..."[6].

وتبدأ هذه الصورة المشرقة للمدينة في التلاشي تدريجيا بمجرد الخروج من تل أبيب إلى غيرها، ففي بيت لحم لا وجود لهذه الرفاهية لقد تغيرت كثيرا منذ أن زارها أمين" ....، فبعد أن تضخمت بسبب سيول اللاجئين النازحين عن قراهم التي أصبحت مرمى كالمتاريس، ومعظمها في مرحلة التشطيب، يغطيها الصفيح، أو تزنرها الخردة، نوافذها زائغة وأبوابها مضحكة..."[7].

بل ويمتد وصف أمين إلى السكان، إذ " يحلم بعض الكهول على عتبات البيوت، متكئين على عصيهم، وقد عصبوا الكوفية على رأسهم، وفتحوا سترتهم على صدرية باخ لونها، يجلس بعضهم على مقاعد خفيظة، وبعضهم الآخر على درجة سلم، يبدو عليهم أنهم لا

يصغون إلا لذكرياتهم، شاردي النظرات، منيعين في صمتهم، لا تزعزعهم على الإطلاق جلبة الأطفال الذين يتشاجرون حولهم" [8].

لقد أعاد البطل أمين جعفري اكتشاف هوية الأمكنة الفلسطينية التي تتراوح بين المسجد وصوت الآذان، والسوق الشعبي، والأمر ذاته في جنين ولكنها أكثر تشديدا من حيث الأمن عن غيرها ف"... نقاط التفتيش عند كل طريق فرعية، الطرقات التي تنتشر فيها السيارات المحروقة، بعد أن جندلتها الطائرات المسير لاسلكيا، جحافل المستضعفين الذين ينتظرون دورهم على حواجز التفتيش، القناصون والدبابات، والأطفال، السيارات المفخخة،الجرافات، أكوام الردم والحديد"[9].

لقد تحولت جنين إلى مدينة لم يعد يعرفها، لقد أصبحت".....مدينة منكوبة ، وتلفا هائلا، لا معنى لها، غامضة مثل ابتسامة شهدائها المعلقة صورهم في كل شارع، ترتع في لعناتها، مقطوعة الأنفاس، وقد نفذت من ها الأدعية، بعد أن شوهتها الغارات الكثيرة للجيش الإسرائيلي تارة يصار إلى التشهير بها، وطورا إلى إحيائها لإدامة المتعة..."[10].

إن هذا الوصف من الشخصية لمدن فلسطين يضع المتلقي أمام المفارقة، وأمام الوجع الفلسطيني المتجدد يوميا، مما يدفع الفلسطيني نفسه إلى الانكفاء على ذاته بحثا عن حل، قد يتراوح بين المقاومة أو التواطؤ، أو الهجرة.

<u>ثانيا.التطبيع ونكران الذات:</u>

إن ردة فعل الفلسطينيين تبدو متشابهة في بدايات النكبة إذ منهم من قاوم المحتل الإسرائيلي وفضل الموت على الاستسلام، وتقديم أرضه عربون خوف، وتمسكا بالحياة، ومنهم من فضل الهجرة واللجوء إلى الدول المجاورة أو العربية بشكل عام مستسلمين للأمر الواقع، محاولين التأقلم مع الحياة الجديدة خارج تربة فلسطين مع قطع الأمل في العودة إليها بسبب خطر الموت من الجيش الإسرائيلي ولكن مع مرور الزمن وتوالي النكسات الفلسطينية (1973/1967/1948) بدأ التحول في فعل المقاومة إذ خرج طرف آخر تقبل وضع الخضوع للذات وقبول التطبيع على أنه فعل طبيعي وأن ما يرجوه البعض من استرجاع للأرض حلم لن يتحقق ومن ثمة قبلوا ذواتهم خاضعين، فاعلين في الدولة الجديدة، دولة إسرائيل.وقد ساعدت بعض دعوات التطبيع الثقافي"...الذي يهدف إلى إحداث تحولات في التوجهات الفكرية وإدراك حقائق الأشياء، إذ أريد للمنطقة الانتقال من ثقافة المواجهة إلى ثقافة السلام، والدعوة إلى نسيان التاريخ و إلغاء ذاكرة الأمة" [11] في ذلك.

لقد مثل هذا الطرف في الرواية كلا من الطبيب الجراح أمين جعفري، وزوجته سهام التي كانت أكثر حذرا منه، فقد كان مسالما لم يولي هذا النزاع اهتماما أو وجودا " ...أمقت الحروب والثورات، وقصص أعمال العنف الخلاصية التي تدور حول نفسها كالبراغي بلا

نهاية، جارفة أجيالا بحالها عبر العبثيات القاتلة نفسها بدون أن يحدث ذلك صحوة في الأذهان..."[12]. كما كان مخلصا وفيا لتطبيعه على الرغم من إحساسه بوجود شيء غير طبيعي في علاقته مع اليهود بمجرد وقوع خلاف أو نزاع بين الفلسطينيين والإسرائيليين على الرغم من بعض الأحداث والمواقف التي عاشها أثناء دراسته وتكوينه ، يقول متحدثا عن عن مساعدة صديقه اليهودي عزرا: "....قبل حصولي على الجنسية الإسرائيلية ، حيث كنت جراحا ، شابا، لا أدخر وسعا لأتثبت في الوظيفة، وقف إلى جانبي . كان لا يزال رئيس قسم متواضعا، ولكنه وظف النفوذ القليل الذي يمنحه إياه منصبه لإبعاد خصومي، في ذلك الحين، كان من الصعب على شاب عربي أن ينظم إلى أخوية النخبة الجامعية بدون أن يثير الاشمئزاز، فجميع زملائي في دفعتي من اليهود الأثرياء الذين يضعون في معصمهم سلسلة ذهبية ويركنون في المرآب سياراتهم المكشوفة، يتعالون علي، ويعتبرون كل إنجاز من إنجازاتي انتهاكا لمقامهم الرفيع. و لذلك، حين يستفزني أحدهم، لا يحاول عزرا حتى أن يعرف من البادئ، بل يتضامن معي تضامنا منهجيا".[13]

إن الطبيب أمين يرفض الاستماع مطلقا إلى هذا النقاش الأزلي حول أحقية امتلاك الأرض، وخير دليل على ذلك، دخوله شقة الطبيبة كيم التي تستضيفه في شقتها بسبب الهجوم الصهيوني لبعض الغاضبين عليه في منزله، فيسمع نافيذ، وعزرا يتناقشان:"

-الفلسطينيون هم الذين يرفضون الاستماع لصوت العقل.

- ربما نحن الذين نرفض الاستماع إليهم."[14]

يكتفي أمين بإشارة السكوت لكيم، ويخرج مؤكدا لنفسه ولها عدم رغبته في إثبات أو نفي وجود فلسطين، لقد اقتنع تماما بضرورة التسليم لأي وضع.

لقد سعى أمين جعفري أن يتأقلم مع ذاته، هو و وزوجه بل ويتجاهل هويته الفلسطينية ويندمج في المجتمع الإسرائيلي العلماني إذ لا علاقة له بالدين ولا أركانه كالصيام والصلاة،"- هل تمارس الشعائر الدينية يا دكتور؟

-لا.

وزوجتك؟

-لا.

يقطب جبينه.

-لا؟

- كانت لا تصلي إن كان هذا ما تقصده بممارسة الشعائر الدينية.

- غريب..."[15]

بل جل ما يهمه أن يتمتع بالحياة بعيدا عن الخلاف والشقاق بأية طريقة ولو كانت على حساب هويته، لقد اشترى بيتا جميلا في حي راق، واستطاع أن يشكل صداقات متينة مع اليهود كالطبيبة كيم، وعزرا بن حاييم، ونافيذ، بل ويتبادلان الزيارات في المناسبات وغيرها بل ويتعايشان معا كل لحظات الألم والفرح كما أن علاقته بكيم كانت متينة إذ على الرغم مما قامت به سهام من تفجير استهدف أكثر من عشرة إسرائيليين جرحى إلا أنها لم تعاتبه لإيمانها بخضوعه للاندماج بشكل تام وخضوعه العميق للواقع الجديد يقول: "...فبيقنا صديقين حميمين، ونسجت زمالتنا الوطيدة حولنا انسجاما رائعا."[16] .

لقد انبهر أمين جعفري بالحياة التي اختارها وتأكد من مظاهرها أنها فعلا تستحق أن يحياها. لقد اكتفى بالجراحة في مستشفى تب أبيب اكتفى بعمله وبقضاء وقته مع زوجته في أجمل الأماكن على شاطئ البحر، أو زيارة لمدن العالم الشهيرة كباريس، وفرانكفورت، والإمارات، وأمريكا...

ثالثا. العنصرية الإسرائيلية:

على الرغم من اجتماع الأعراق المختلفة في أرض فلسطين بشكل نسيج موحد والتعايش بينهما لقرون مضت تحيل إلى ذلك المآذن، والكنائس بالقدس وكذا الحديث عن مأساة اليهود الشرقيين أنفسهم بألمانيا على لسان جد كيم الذي يتذكر تلك الحوادث المأساوية التي ارتكبها في حقهم النازية الألمانية مما يغير النظرة القديمة في الرواية إلى الإنسان اليهودي الذي لم يكن يصور في الروايات العربية بعد النكسة إلا من خلال نظرة سلبية شجعها التاريخ تشمل الحديث عن أخلاقه كالحقد، والنفاق والدموية فتظهره إنسانا مظلوما كذلك .

غير أن هذا لا ينفي أن تشتمل الرواية على قدر لا بأس به من الممارسات العدوانية الصهيونية التي تسبب في بعث الوجع الفلسطيني من جديد وقد تجلت في هذه الرواية عبر أوجه نذكر منها:

1.حساسية تقبل العربي الفلسطيني:

إن الاندماج يقتضي القبول والتقبل من مختلف الأطراف المندمجة وإذا كان بعض الفلسطينيين ممثلين في شخصية أمين جعفري خاصة قد تقبل انتماءه الجديد وتقبله بعض اليهود من زملائه فإن البعض الآخر يرفض ذلك مطلقا على غرار المريض الذي ورد ذكره في الرواية بعد أن حدث الانفجار الانتحاري " لحظة انحنيت عليه، هددني بعينيه، وقلب شفتيه في تكشيرة مغتاظة.

زمجر وهو يدفعني بيد حقودة قائلا: أفضل الموت على أن يلمسني عربي، قبضت على معصمه، وأطبقت يده بحزم على خاصرته، قلت للممرضة: لا تفلتيه، سأعاينه. تذمر الجريح:- لاتلمسني، إياك أن تضع يدك علي، بصق علي، ولكن بصاقه الواهن تساقط على ذقنه، مرتعشا، ومطاطيا، فيما بللت دموع ساخطة رموشه.[17]لقد رفض بعض اليهود أمين على الرغم من أنه معالج في مستشفى تل أبيب، بل إنه جراح ماهر لا لشيء إلا لأنه عربي، فلسطيني.

2.العنف والمطاردة:

يتحقق العنف الإسرائيلي عبر الاستنطاق الذي تعرض له الطبيب أمين بمجرد معرفة السلطة الإسرائيلية لمرتكب الانفجار الانتحاري في حي " حكيرية " بتل أبيب والذي استهدف جرحى وقتلى إسرائيليين. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوز ذلك إلى السكان حيث علقت قصاصات على الشارع الذي يقيم فيه تحمل عبارات عنصرية يقول أمين:" وضع أحدهم ملصقا على بوابة بيتي، ليس ملصقا بالفعل بل الصفحة الأولى لصحيفة يومية واسعة الانتشار، فوق صورة كبيرة تعكس فوضى دموية حول المطعم الذي استهدفه الإرهابيون. يقرأ المرء بحروف عريضة: الوحش الخسيس بيننا، ويتوزع هذا العنوان على ثلاثة عواميد"[18].

بل قد يتجاوز ذلك إلى حد العنف اللفظي فينعت بالعربي القذر، والخائن، أو بمهاجمة بيته من طرف شبان مراهقين، مع بعض اليهود الملتحين، وبعض المارة المتجمعين الذين نال منهم الركل، والبصاق، ولم يتدخل أي أحد من الحي لإنقاذه.

3.تهمة الإرهاب الأصولي:

لقد كانت صورة العربي الفلسطيني قبل سنة 2001م -وهو تاريخ الهجمات التفجيرية على أمريكا- تعكس ذلك الإنسان المظلوم، والمقاوم لاسترجاع أرضه في الواقع، والمتخيل الروائي، ولكن هذا التاريخ قلب الموازين وجعله يتحول من دور الضحية إلى دور الجلاد في نظر العالم، والصهاينة على وجه الخصوص، إذ كلما حدث تفجير أو عملية استشهادية يكتفي الإسرائيليون اليهود سلطة، وشعبا بردها إلى الإرهاب الأصولي الإسلامي خاصة وهذا ما يبدو من خلال الأسئلة التي وجهها الضابط الإسرائيلي للجراح أمين حول ما إذا كان هو وزوجته يؤديان الشعائر الدينية، وإلصاق التهمة بها كانتحارية أصولية، مبعوثة من حركة الجهاد الإسلامي، أو من إحدى الكتائب الإرهابية التي تدعو إلى الموت، والشهادة.

4.الهدم والقصف:

إن العنصرية الإسرائيلية قضت منذ بداية النكبة بضرورة ترحيل الفلسطينيين عن أراضيهم بكل ما تضمه من ممتلكات كالبيوت، والأراضي، وغيرها... وربما خُفف هذا الفعل قليلا بفعل الاتفاقيات، والمعاهدات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية. ولكن هذا الفعل لم ينقطع نهائيا إذ واصل الإسرائيليون هدم بيوت الفلسطينيين وممتلكاتهم والاستيلاء عليها وترحيلهم إلى المخيمات داخل فلسطين أو خارجها .

ويكون فعل الهدم أكثر سرعة في التنفيذ كلما أقدم أحد الفلسطينيين على تفجير نفسه، وقد تناولت الرواية استشهاد وسام أحد أقرباء أمين في ساحة الشرف بعد تفجيره لسيارة مفخخة عند نقطة تفتيش إسرائيلية حيث" اجتاح الجنود البستان عند الفجر، وصلوا بشاحنات مسيّجة، وحاصروا بيت الجد، كانت تتبعهم عن قرب حاملة دبابات تنقل جرافة طلب الضابط أن يقابل العجوز. بما أن عمرو متوعك، قابلته بالنيابة عنه . أعلمني الضابط أن لدينا نصف ساعة لإخلاء الدار والسماح له بمباشرة تدميرها على إثر العملية الانتحارية التي نفذها وسام جعفري ضد حاجز تفتيش، بناء على التعليمات التي تلقاها من رؤسائه.

اعترضت قائلا:-ماذا تقول؟ستدمرون الدار؟

-لم يتبق لكم سوى تسع وعشرون دقيقة."[19]

لقد فعلها الجنود الإسرائيليون دون هوادة، ودون أدنى تردد، ورددت فاتن لأمين قائلة:" وماقيمة الدار حين نفقد الوطن"[20].

ولم يكتف الإسرائيليون بهدم البيوت وهو فعل قديم ارتبط بالنكبة بل هناك فعل آخر يضيق الحياة على الفلسطيني ويزيد من وجعه وهو القصف إذ قام هؤلاء بقصف المسجد وكل من بداخله أو ما حوله دون هوادة وفي ثوان معدودات.

5.التضييق بالجدار:

لقد امتدت الرغبة الصهيونية للتخلص من الفلسطيني إلى التضييق على حريته اليومية، وقطع صلته بالمدن التي يستقر فيها اليهود بشكل كبير فما كان منها إلا إقامة الجدار بين المدن الفلسطينية خاصة مدن الضفة الغربية. ولكنها لا تدري أنه كان كذلك بمثابة سجن لليهود ذلك أن اليهودي "...لا يطيق الحيطان. ليست صدفة أنه شيد حائطا ليبكي عليه، شارون يقرأ التوراة بالمقلوب، يظن أنه يحمي إسرائيل من أعدائها. .."[21]

ثالثا.الاغتراب واستنهاض الذاكرة:

لم يكن شعور الاغتراب لدى سهام، وأمين نفسه إذ كانت حذرة في علاقتها بزملاء، وأصدقاء زوجها من اليهود ومن ثمة فقد كانت تعيش حالة من الاغتراب التي خافت أن تفصح عنها لتأكدها من خضوع زوجها للواقع الجديد ومن أن ن له الحق في اختيار مصيره ، فآثرت الصمت إلى أن ألفت الفرصة المناسبة للقرار الذي رأته صائبا ولعل ما عزز قرارها زيارة عادل واكتشافها لعمله الحقيق ووقوع بصرها أثناء زيارتها لأقاربها خاصة جدتها على الواقع المظلم للفلسطينيين بسبب مخطط الصهاينة، وربما كثيرا ما كانت تقارنه بالواقع في تل أبيب غير أن أمين جعفري الجراح الماهر لم تزل الغشاوة عن عينيه لرؤية حقيقة الصراع إلا بعد أن فجرت سهام نفسها في سبيل الأرض.

إن هذا الحدث زعزع أمين جعفري من داخله، بل وفي علاقته بالمحيط الخارجي فدخل في دوامة من التساؤلات من قبيل: لماذا أقدمت على هذا الفعل؟ كيف أعيش معها أكثر من خمسة عشر سنة ولم أكتشف ما تعايشه من تعلق بالأرض؟ هل خانتني مع قريبي عادل؟. لقد دفعت هذه التساؤلات أمين إلى الشعور الحقيقي بالاغتراب بمختلف أشكاله، النفسي ممثلا في فقدان القدرة على التمييز، والاجتماعي في عدم الشعور بالانتماء إلى أي طرف من أطراف النزاع ، الإسرائيلي والفلسطيني، فكلاهما ضده فالإسرائيليون حملوه ذنب تفجير زوجته لنفسها، والفلسطينيون لم يعد بينهم أو يمثلهم خاصة عناصر المقاومة من أقربائه.

لقد سعى أمين إلى الانقطاع عن المستشفى وحزم حقائبه بحثا عن الإجابة لتساؤلاته فكان يستعيد ذكريات الحب مع زوجته، خاصة تعلقها بوقت الغروب الذي كان يشهدانه معا، كما قفل راجعا إلى أهله، وأقاربه لعله يصل إلى الحقيقة التي لايريد أن يقر بها في كل الأحوال، إنها موت سهام، ومأساة الوطن.

فيتذكر في القدس أمه التي كانت تصلي قرب فراش أخيها و هو يحتضر ، كما يحس بالتغير الذي طرأ على بيت لحم التي لم يزرها منذ عشر أعوام. وقد استمر استنهاض الذاكرة حتى اللحظات الأخيرة التي كان يحياها أمين بعد القصف وهو تحت وطأة الألم، وساعة الاحتضار، فيتذكر أمه ويبحث عنها وسط بساتين جده الممتدة، بساتين البرتقال المتعانقة، كما يتذكر قول أبيه يوم مات جده" اعترف لي أبي إذ ألفاني منهارا في الغرفة سجي فيها جثمان كبيرنا: إن من قال لك: إن الرجل الذي يبكي يجهل ما في الرجولة ، فلا تخجل من البكاء يا بني لأن الدموع أرقى ما نملك."[22] لا ينسى ذكريات جده عمرو الذي شارك في الدفاع عن القدس عام 1947، وقد أصيب على إثرها بجروح بليغة، " عرفته يعرج بسبب رصاصة استقرت في ركبته، ثم مقوس الظهر على عصاه إثر نوبة قلبية أصابته يوم شاهد جرافات إسرائيلية تدمر بساتين الجد لصالح مستوطنة يهودية[23].

<u>رابعا.الرفض والمقاومة:</u>

1.المقاومة الذاتية الفلسطينية:

إن الرفض والمقاومة تعبير عن إرادة الذات وقوتها في مجابهة الظلم والعدوان المسلط عليها ولعل فعل المقاومة قد سيطر على الرواية منذ البداية بمختلف أشكاله ولكنه فعل نشأ تدريجيا لدى سهام وأمين جعفري، إذن إن إدراك أمين للواقع الفلسطيني وإعادة استرجاع الواقع التاريخي جعلته يقاوم حياته العادية ليعايش أهله ويساندهم، وتبدو مساندته في رفض الهدم، وفي عدم خوفه من مقابلة الشيخ مروان أو زعماء المقاومة الفلسطينية، بل بتركه الحياة المترفة في تل أبيب، وشهرته كجراح ليلحق بأهله باحثا عن الحقيقة التي دفعت زوجته إلى التفجير والتي بدأت تكشف عن نفسها بمجرد عودته إلى أهله الذين استقبلوه بالأحضان، وفرحوا لعودته فشهد معاناتهم بنفسه.

إن فعل الرفض والمقاومة لم يظهر في شخصيتي سهام، وأمين فقط وإنما في الشخصيات الفلسطينية في الرواية التي كشفت عنها الرواية في أجزائها اللاحقة فقد استشهد وسام، إثر عملية تفجيرية، كما اختفت فاتن بعد هدم المنزل، و اختفت زوجته من قبل، كما تبدو المقاومة كذلك في الشيخ مروان الذي استقطب أكبر عدد من الفلسطينيين الراغبين في تحفيز أنفسهم للارتماء في حضن الشهادة ليحيا الوطن.

2.المقاومة الجمعية:

تكاد تتفق في الرواية معظم الشخصيات على تفاوت في الكيفية والتوجه والإيديولوجية على ضرورة استرجاع الوطن وإثبات الهوية الفلسطينية" ذلك أن حب الوطن والدفاع عنه غريزة بشرية قد تكون هي الدافع الأهم للكثير من شعوب العالم للتضحية والمقاومة"[24] .

لقد نأت الرواية عن تناول قضية الخلاف السياسي ونقاشات السلطة الفلسطينية إلى الحديث عن الأجنحة العسكرية الثورية، التحريرية وركزت حديثها عن حركة الجهاد الإسلامي التي تبنت العمليات الانتحارية وقد ورد ذلك أثناء بحث أمين عن فاتن المختفية بعد الهدم إذ بحث عن عادل وما إن وجده يقول أمين:" أخبرته باختفاء فاتن وبالشكوك التي تخامرني حول الأسباب الحقيقية لهذا الاختفاء. أكد علي عادل : لم تنضم أية امرأة لصفوفنا هذا الأسبوع.

- حاول أن تتحقق لدى الجهاد الإسلامي أو الكتائب الأخرى."[25]

خامسا.الموت واستمرارية الوجع:

لقد استحوذت قضية الموت على مساحة كبيرة في الرواية ممثلة في الموت العلني، وفي الاختفاء ماديا، او الموت الداخلي بفقدان الشعور بالحياة خاصة بعد اكتشاف أمين

موت سهام فاكتشافه لموتها أدى به إلى صدمة عنيفة، فلم يتقبل انفصاله عنها وفقدانه لحضورها البهي ، فقد تقبل موته بنضج عقلي قبل أن يصاب بلحظات الموت الذي وقف أمامه عاجزا، لا يحس فيه بالفخر ، أو لذة الشهادة بقدر ما أحس فيه بالخلاص من الوضع.

بخلاف وسام، وسهام، وربما فاتن الذين اقتنعوا بأن الموت حياة أبدية للفلسطيني مجده منذ النكبة، كما ظل يمجده سبيلا للتحرر، واسترجاع الحق وهذا أيضا ما مثله الشيخ مروان، واستلذ الجمع من الفلسطينيين سماعه فقد جعل عبر خطبه "...الموت عرشا للشهيد ومدخلا أساسيا لاسترجاع الأرض والهوية من يد الغاصبين، وكان يذكي هذا التوجه وحاجة الحالة الفلسطينية إلى ضخ الحماس في نفوس الفدائيين."[26]

كما جمعت الرواية بين الموت الفردي والجماعي، إذ افتتح الروائي روايته ، بصوت القصف، وبتطاير الأشلاء والأجزاء البشرية وبصوت الإسعاف، إنه موت جماعي وإبادة وحشية للفلسطينيين.

الخاتمة:

-إن رواية الصدمة لياسمينة خضرا مثلت قضية من قضايا المتن الروائي للجالية الجزائرية المهاجرة، وهي قضية قلما نجد الكتابة ثرية حولها، وقد خرجت رواية الصدمة فيها من عباءة الرواية الكلاسيكية التي تكتفي ب الحديث عن الوجع الفلسطيني والمقاومة دون أسباب منطقية، ودون بحث في العلاقات السياسية والتاريخية والثقافية للأطراف المتصارعة..

-لقد تناولت الرواية بالتدقيق الواقع الاجتماعي والسياسي الذي يربط بين اليهودي والفلسطيني فأبانت عن علاقة طيبة ولكنها محفوفة بالحساسية والمأزقية بسبب التاريخ والحاضر.

- ركزت الرواية على التحول في فعل المقاومة من المقاومة السلطوية العربية إلى المقاومة الفلسطينية الذاتية والتي جسدها فعل التفجير، والشهادة، والانتحار، كما بينت الرواية ردود فعل الآخر الإسرائيلي اتجاه هذا الفعل ورغبته الخبيثة والماكرة في تشهيره باسم ا لإرهاب لنيل تعاطف العالم.

-لقد جسدت الرواية الوجع الفلسطيني الماضي، والحاضر، والمستقبل في نسيج سردي عبر الزمان والمكان والشخصيات بكل دقائقها و حيواتها دون أن تتعاطف الذات الروائية معها علنا.

[1] نضال الصالح،نشيد الزيتون، قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 42.
[2] المرجع نفسه، ص62.
[3] ياسمينة خضرا: الصدمة، رواية، تر: نهلة بيوض، الفارابي، سيديا، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1،2007،ص 75
[4] المصدر نفسه، ص 79
[5] المصدر نفسه، ص 81
[6] المصدر نفسه، ص90.
[7] المصدر نفسه، ص130
[8] المصدر نفسه، ص 130.
[9] المصدر نفسه،ص 230.
[10] المصدر نفسه، ص241.
[11] محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهود في الرواية العربية، المعاصرة رؤية سردية مغايرة، رسالة المشرق، مج34، ع02، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية،ص 73. https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-1157782 -، تاريخ الزيارة15نوفمبر2022.
[12] المصدر السابق، ص192.
[13] المصدر نفسه، ص 14.
[14] المصدر نفسه، ص 80.
[15] المصدر نفسه، ص48.
[16] المصدر نفسه، ص16.
[17] المصدر نفسه، ص24،23.
[18] المصدر نفسه، ص 67
[19] المصدر نفسه، ص283.
[20] المصدر نفسه، 284
[21] المصدر نفسه، 275
[22] المصدر نفسه، ص19
[23] ، المصدر نفسه، ص 271.
[24] الكبيسي، محمد عياش من فقه المقاومة والجهاد، بيروت، دار التراث، ص 288
[25] المصدر السابق، ص287.
[26] صفاء عبد الفتاح محمد المهداوي: الأنا في شعر محمود درويش(دراسة سوسيو ثقافية في دواوينه من 1995-2008)، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص200.

المصادر والمراجع:

1.صفاء عبد الفتاح محمد المهداوي: الأنا في شعر محمود درويش(دراسة سوسيو ثقافية في دواوينه من 1995-2008)، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2013.
2. الكبيسي، محمد عياش من فقه المقاومة والجهاد، بيروت، دار التراث.
3. محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهود في الرواية العربية، المعاصرة رؤية سردية مغايرة، رسالة المشرق، مج34، ع02، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية،ص 73. https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-1157782 -، تاريخ الزيارة15نوفمبر2022
نضال الصالح،نشيد الزيتون، قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
4. ياسمينة خضرا: الصدمة، رواية، تر: نهلة بيوض، الفارابي، سيديا، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1،2007،

View publication stats